لكنه لم يعلق على الوقائع الاخرى ، بل عاد ليكرر ثقته بعدم وجود ضغط من قبل المعلنين . وأخيرا اعترف بأنه كان يجب أن يتوسع في الكتابة عن مجموعات الضغط السياسي في بريطانيا (أي أنه لم يفعل ذلك بما فيه الكفاية) وربما سيفعل ذلك في طبعة جديدة للكتاب . ونحن الآن بانتظار صدور الطبعة المنقحة ، لنرى اذا كانت هذه الاضافات المقترحة قد ادخلت الى الكتاب ام لا .

على اننا لو افترضنا بأن الشعب البريطاني سيغير موقفه تجاه العرب ، فهل ستعكس صحافته هذا التغيير في الموقف يا ترى ؟ ان هذا السؤال يكتسب أهميته الفائقة في الظروف الراهنة من خلال أزمة الطاقة التي دخلت بيت كل مواطن في اوربا الغربية واميركا . فهذه الازمة جعلت الغربيين يدركون بجلاء انها وليدة الصراع العربي الصهيوني ، وأفهمتهم بالتالي أن الصراع الدائر في المنطقة التي يطلقون عليها اسم الشرق الاوسط ، لم يعد بعيداً عنهم ، بل أصبح يؤثر تأثيرا مباشرا على حياتهم اليومية ، وعلى مصالحهم الحيوية . ولقد عبرت احدى الصحف الالمانية الغربية عن هذا الادراك الجديد بشكل ظريف عندما نشرت رسما كاريكاتوريا ظهرت فيه أسرة المانية ترتعد من البرد في بيتها (بسبب نفاد الوقود) بينما جلس رب الاسرة ليكتب رسالة الى رئيس احدى الدول العربية المنتجة للنفط ، يقول فيها : اننا عائلة موللر (وهذا هو الاسم الالماني الشائع) نريد ان نعرب لكم يا سيادة الرئيس عن تضامننا التام مع الشعوب العربية في سياستها ومواقفها . . بس دخيلك اعطينا شوية نفط !

ان التاريخ السري للمحاولات الهادفة الى كسب الرأي العام ، وذلك عن طريق شراء الاقلام المعروضة للبيع ما زال ، على حد علمنا ، غير مدون بتفصيل . ومع ذلك نجد لمحات هنا وهناك تدلنا على بعض الاساليب المستخدمة ، وبينها الواقعة التالية التي يرويها ناحوم غولدمن في سيرته الذاتية : ابان الحرب العالمية الاولى ، فوجىء الالمان بموقف الصحافة الاسكندنافية منهم . فمع ان الدول الاسكندنافية كانت تقف على الحياد بين المعسكرين المتحاربين ، الا ان صحافتها كانت تؤيد بريطانيا وتهاجم المانيا . واخيرا اكتشف الالمان بأن هذه الصحف تتقاضى الاجور من السلطات البريطانية ، وان موقفها المعادي لالمانيا لا ينبع عن الاجتهاد الصادق وانما عن الجنيه الاسترليني . وكانت بريطانيا قد اشترت المحررين والمراسلين الاسكندنافيين بأسلوب ذكي . فمثلا كلفت ادارة الموسوعة البريطانية (الانسكلوبيديا بريتانيكا) كاتبا نرويجيا بأن يكتب للموسوعة بحثا ، ثم أعطته مكافأته سلفا ، وكانت ضخمة حقا ، وأهملت في مطالبته بالبحث ، اذ بالطبع لم يهمها أن يكتب البحث أم لا ، فالامر كله كان رشوة ، ولكن بأسلوب مهذب مستتر . ومراسل اسكندنافي آخر دعته بريطانيا ليزورها على حساب الدولة ، ثم سلمته صكا لينفق منه اثناء زيارته القصيرة ، الا أن هذا الصك كان كافيا لان يعيش عليه هذا المراسل مدة عام كامل بعد زيارته لبريطانيا .

وكان الالمان في ذلك العهد ما زالوا يحيطون مهنة الكتابة والصحافة بهالة من التقديس ، الى أن جاء من يوقظهم من نومهم ، ويلفت نظرهم الى حقيقة بسيطة ، وهي أن الصحافة مهنة كسائر المهن ، وبضاعتها تباع وتشرى حسب الطلب . علاوة على ان الكاتب النرويجي أو السويدي او الدنماركي لا يشعر بأنه يخون وطنه عندما يتقاضى المال من بريطانيا ، باعتبار ان بلاده هو ليست متورطة في الحرب ، فما ضره اذن اذا انتفع من الحرب التي تعصف خارج بلاده ؟

وقررت المانيا ان تدخل طرفا في المزاد السري ، ولكن لانها كانت مستجدة في هذه